ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد:08، العدد: 01(2023) ص: 46 - 56

(تجليات أسطورة شهرزاد في الرواية الجزائرية قراءة في نماذج مختارة)

The depiction of the legend of Scheherazade in the Algerian novel, (reading in models)

د. خبراج سنوسي*

جامعة غليزان (الجزائر)

senoussi.khabradj@univ-relizane.dz

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2022/04/25
تاريخ القبول:
2022/11/07
تاريخ النشر
2023/03/26

الكلمات المفتاحية:
- ✓ **أسطورة:**
- ✓ **شهرزاد:**
- ✓ **الرواية:**
- ✓ **الجزائرية:**
- ✓ **قراءة:**

الملخص:

شكلت الأسطورة في الآونة الأخيرة ظاهرة بارزة في المجال الأدبي شعرا ونثرا، فاستحضرها الأباء والشعراء في أعمالهم، وذلك أنه كلما قوي الجانب الخرافي أو الأسطوري كان ظهور الشخصيات أكثر سحرا وأكثر تشويقا للقارئ، فتصبح القصة الأم مجالا أموميا لتوليد قصص داخل قصص.

ولعل من الأساطير التي ارتبطت بهذا العالم السحري في الوطن العربي أسطورة شهرزاد في قصص ألف ليلة وليلة والتي لقيت حضورا كبيرا في مخيال الأدباء باعتبارها من أعظم الآثار التي حكتها الذاكرة الجماعية الشعبية.

سنحاول في هذه الدراسة الوقوف عند ملامح أسطورة شهرزاد في نماذج رواية جزائرية، ونبيّن أهم العلاقات والأبعاد الفكرية التي تربط هذه الأسطورة بالنصوص الروائية التي وظفت فيها.

Article info

Received
25/04/2022
Accepted
07/11/2022

- ✓ *the legend:*
- ✓ *Scheherazad:*
- ✓ *Algerian:*
- ✓ *Novel:*
- ✓ *Reading:*

Abstract :

In recent times, the legend has formed a main phenomenon in the literary field, poetry and prose, so poets have invoked it in their works, because the stronger the mythical aspect and fabled, the more the characters appear charming and interesting to the reader, hence the original story becomes a field for creating more stories.

One of the legends associated with this magical world in the Arab world is perhaps the legend of Scheherazade in the stories of the Thousand and One Nights, which found great presence in the imagination of writers as one of the greatest monuments that the popular collective the memory has told.

In this study, we will try to highlight the manifestation of the legend of Scheherazade in the models of an Algerian novel, and to show the most important relations and intellectual dimensions that link this legend to the narrative texts in which it has been employed.

*د خبراج سنوسي

1. مقدمة

تمثل الأسطورة تراكمات الإبداع الإنساني عبر مراحله المختلفة وإن اختلف هذا الابداع من إنسان إلى آخر ومن مكان إلى آخر، والكاتب عندما يوظفها فهو لا يسعى لامتصاص النص الغائب فحسب أو يستعرض ثقافته الواسعة، أو تزين نصه وإنما يحاول إلى عرض التشابه بين القصة الأسطورية والواقع المعاش وتقلباته المختلفة، ومرد ذلك أنّ الأسطورة أسمى ضروب الأدب والفن والفكر والابداع، لما تنطوي عليه من خيالات رائعة ومشاعر سامية وألوان زاهية وفنون راقية وأفكار عميقة مسبوكة ومصاغة في لغة منمقة متنورة ومغلفة ببناء فنّي رفيع عجيب يقرب من غرابة الأسطورة ذاتها.

نسعى في هذه الدراسة الوقوف عند ملامح أسطورة شهرزاد في الرواية الجزائرية وأهم الأبعاد التي تضمنها هذا التوظيف، وإلى أي مدى وفق الروائي في استلهامه لهذه الأسطورة وماهي الجمالية التي أضافها هذا التوظيف للنص الروائي.

2.مفهوم الأسطورة

1.2 المفهوم اللغوي للأسطورة:

تعدّ الأسطورة من أهم أشكال التعبير في الأدب الشعبي فـ« هي جماع التفكير والتعبير عن الإنسان في مراحله البدائية والقديمة» (يونس،1980. ص:15) وتكمن دراستها في كونها «مدخلا ضروريا للأدب الشعبي باعتبارها أصلا من أصوله في الزمان وباعتبارها المجال الكامل لجميع الأنواع أو معظمها التي تشعبت عنها »(يونس،1973. ص: 115) وقد اختلف العلماء في تحيد تعريف موحد للأسطورة فمنهم يرى«أن الأسطورة تروي تاريخا مقدسا، تسرد حدثا وقع في عصور ممعنة في القدم، عصور خرافية تستوعب بداية الخليقة »(يونس 1972. ص: 19) ولا يخلو مجتمع من المجتمعات القديمة في التاريخ من وجود الأسطورة في أدبه الشعبي.

لقد ذهبت جل المعاجم اللغوية إلى أن الأسطورة مشتقة من كلمة سطر؛ حيث وردت في لسان العرب «...وواحد الأساطير أسطورة، كما قالوا أحدوثة وأحاديث... والأساطير: الأباطيل...[أي]أحاديث لا نظام لها» (ابن منظور، دت. ص: 363)، ويقال «سطر فلان تسطيرا إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل»(الفراهيدي، 2002. ص: 243)، كما جاء في أساس البلاغة «وهذه أسطورة من أساطير الأولين، مما سطروا من أعاجيبهم وأحاديثهم» (الزمخشري، 1998. ص: 54) و«يسطر تسطيرا : إذا كتب الكاتب أو الرسالة أو نحوهما»(المنظمة العربية للتربية،1989.ص: 622). ويقال «سطر الأكاذيب وسطر علينا أي قص علينا الاساطير والأساطير هي الأباطيل والأحاديث العجيبة وأول استخدام للكلمة في القرآن الكريم حيث في سورة الفرقان الآية 05 قوله تعالى ﴿**وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا**﴾»(مبروك ، دت. ص:46)ما جاءت كلمة الأسطورة في كثير من الآيات القرآنية نذكر منها قوله تعالى:﴿**وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين**﴾(سورة النحل الآية 24)ويقول سبحانه وتعالى في آية أخرى ﴿...**لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إنْ هذا إلا أساطير الأولين**﴾ (سورو المؤمنون، الآية83)وقوله عز وجل﴿**ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أ يفقهوه، وفي آذانهم وإن يروا كل آية لا يؤمنون بها حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إنْ هذا إلا أساطير الأولين**﴾ (سوروالأنعام،الآية25) . ويقول أيضا ﴿ **لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلّا أساطير الأولين**﴾(سورةالالأنفال،الآية31)فمعنى الأسطورة في كل من هذه الآيات الكريمة على أنها الأحاديث الباطلة وكلام الأولين.

2.2 المفهوم الاصطلاحي للأسطورة: تعتبر الأسطورة من أهم أشكال التعبير في الأدب الشعبي فـ«هي جماع التفكير والتعبير عن الإنسان في مراحله البدائية والقديمة»(يونس، 1980.ص: 15) وتكمن أهميتها في كونها«مدخلا ضروريا للأدب الشعبي باعتبارها أصلا من أصوله في الزمان وباعتبارها المجال الكامل لجميع الأنواع أو معظمها التي تشبعت عنها»(يونس، 1973.ص :115) فهي مصدر الآداب الشعبية بمختلف أجناسها.

وقد اختلف العلماء في تحديد تعريف موحد للأسطورة وتشتت أراءهم حولها « فتصدوا للأساطير بالدراسة من بين علماء الأناسة وعلماء الاجتماع وعلماء النفس والفلاسفة قد صادفتهم مثل هذه القضية وتفرقوا بشأنها شيعا» (عجينة، 1994.ص: 63)مع وجود غالبية ترى أن تعريفها «يدور حول الدين وشعائره والتاريخ وحوادثه والفلسفة ومجالاتها والكون»(الصباغ،2002.ص: 17)،فمنهم من يرى أنها «تروي تاريخا مقدسا، وتسرد تسرد حدثا وقع في عصور ممعنة في القدم، عصور خرافية تستوعب بداية الخليقة» (يونس، 1972.ص:19)، ولا يخلو مجتمع من المجتمعات القديمة في التاريخ من وجود الأسطورة في أدبه الشعبي نظرا لأهميتها، فهي « ثابتة عند جميع الأمم بدون استثناء وبغير شذوذ، فلا غرو إذا قلنا أنها توجد عند العرب أيضا» (زكي، دت.ص:22)منذ القدم ولعل الشعر الجاهلي حافل بما يشبه الاساطير« مثل الأخبار التي رصدها المسعودي عن الهواتف والجن والغيلان» (زكي،دت.ص:24) وعلى هذا الأساس « يمكن القول بأن الأسطورة هي المادة الخام التي سطرها القدامى كما جاءت في طيات أمهات الكتب والتي غذّت القصص الشعبي على مرّ الزمان إذا تكونت منها أغلب القصص المعروفة في يومنا هذا» (قريش،1980.ص:101)، ومن هنا سنكتفي بسرد بعض التعاريف الي طرقت إلى الأسطورة على سبيل التمثيل لا الحصر.

يعرف إليادمارسيا : **Mircea Eliade** الأسطورة بأنها « حكاية مقدسة تروي حدثا جرى في الزمن الأول أي زمن البدايات العجيب وعبارة أخرى فالأسطورة تحكي لنا كيف جاءت حقيقة جزئية مثل جزيرة أو جنس نباتي أو سلوك بشري أم تعلق الأمر بمؤسسيه وهي بالتالي حكاية خلق دائما كيف خلق شيء معين وكيف بدأ يتجلى»(Elide p15. 1964 . (فالأسطورة متعلقة بقضية الخلق الأولى سواء تعلق بالجماد أو النبات أو الانسان ويكاد يكون هذا التعريف هو أشمل تعريف جمع خصائص الأسطورة كالقداسة والتاريخية والعجائبية وكل من تعرض للأسطورة بالدراسة إلا ورجع إليه. ويواصل"إلياد" قوله في هذا الصدد« تروي الأسطورة تاريخا مقدسا وتعبر عن حدث وقع في الزمن الأول زمن البدايات العجيب»(كاسوحة، 1995.ص:11) فهنا نظر صاحب التعريف إلى الأسطورة من جانب التاريخ الأزلي المتعلق بالإنسان.

أما "بيار برونيل"Pierre Brunel فيرى أن الأسطورة « تنشأ من الغرابة فالحالة الذهنية المناسبة لظهور الأسطورة هي حالة التساؤل فعندما أجد نفسي أمام شيء لا أفهمه ولا تفسره لي أية نظرية ألجأ إلى نوع آخر من التفسيرات دون الاستعانة بالعقل ولا بالتجربة العلمية»(Brunel.p.18.1968).فهذا التعريف ربط الاسطورة بعجز العقل والعلم عن تفسير ظاهرة معينة، فهي البديل لهما.

جاء في المعجم الفرنسي Le Robert أن «الأسطورة قصة خرافية عادة ما تكون من أصل شعبي، تصور كائنات تجسد في شكل رمزي قوى الطبيعة أو بعضا من جوانب عبقرية البشر ومصيرهم، ويمكن أن تقارن الأسطورة بكل من الحكاية أو الرمز وتتخذ الأساطير أهمية قصوى في الديانات البشرية والآداب الشعبية، ومنها ما هو ديني ودنيوي فهناك على سبيل المثال أساطير مسيحية وأساطير وثنية» (أسعد، 1985.ص:109) فالأسطورة هي رمز لقوى الطبيعة الخارقة مقترنة في بعض الأحيان بجانب الديني والدنيوي للبشر.

وكما هو معلوم فإن العلم الذي يدرس الأساطير يسمى بالميثولوجيا Mythology وهو مصطلح « معرب عن اليونانية ويطلق على العلم الذي يعنى بدراسة منشأ الأسطورة وتطورها وبدراسة أساطير الشعوب

والعلاقات المتبادلة بين هذه الأساطير، كما يطلق المصطلح على مجموعة الأساطير التي تختص بالتراث الديني» (رفعت،2011.ص: 06) ويتضح من هذا التعريف أن الأسطورة لها أصول يونانية متصلة بالدين. وجاء تعريفها في المعجم الأدبي على أنها « سرد قصصي مشوه للأحداث التاريخية تعمد للمخيلة الشعبية، فتبتدع الحكايات الدينية والقومية والفلسفية لتثير انتباه الجمهور، والأسطورة تعتمد عادة تقاليد العامة وأحاديثهم وحكاياتهم فتتخذ منها عنصرا أوليا ينمو مع الزمن بإضافات جديدة حسب الرواة والبلدان فتصبح غنية بالأخيلة والأحداث والعقد وقد تكون الأسطورة من صنع كاتب أو شاعر معين غاص على أحلام شعبه وأدرك العوامل المثيرة له وتوسل بأسلوبه الخاص وضع أسطورة ناجحة ...تصبح مع مرور الزمن من الفلكلور المحلي أو التراث الشعبي»(جبور،1979.ص: 19) فالأسطورة حكايات خالية موغلة في القدم ارتبطت بالشعوب ومعتقداتهم .

ونجد في معجم المصطلحات الأدبية أنّ« الأسطورة Myth، legend قصة خرافية يسودها الخيال وتبرز فيها قوى الطبيعة في صور <كائنات حية ذات شخصية ممتازة ويبني عليها الأدب الشعبي تستخدم في عرض مذهب أو فكرة عرضا شعريا قصصيا ...والأسطورةبهذين المعنيين سرد لا يتفق عناصره مع الحقيقة الملموسة إلا أنها محاولة لتفسير النظم الكونية كما تبدو للإنسانية» (وهبة، المهندس، 1979.ص:21) فالأسطورة هنا لا تقف عند الحقيقة وإنما تحاول أن تفسرها وتشرحها. بينما من يرى على أنّ «الأسطورة كلمة يحوطها سحر خاص...يعطى لها من الامداد ما لا يتوفر للكثير من الكلمات في أية لغة من اللغات ...إذ هي توحي بالامتداد عبر الزمان والمكان توحي بالعطاء المجنح للعقل الانساني والوجدان وتوحي بالحلم حين يمتزج بالحقيقة»(خورشيد،2004.ص:03) فالأسطورة تحضر عندما تعجز اللغة العادية عن التعبير.

ووقف عبد الحميد يونس عند تعريفها حين قال «من العسير أن نضع تعريفا للأسطورة يجتمع عليه رأي العلماء المتخصصين ذلك لأن الأسطورة واقع ثقافي ممعن في التعقيد تختلف حوله وجهات النظر وحسبنا نورد هذا الوصف الذي يتسم بالشمول وهو أن الأسطورة تروي تاريخا مقدسا وتسرد حدثا وقع في عصور ممعنة في القدم عصور خرافية تستوعب بداية الخليقة، أو بعبارة أخرى الأسطورة تحكى بوساطة أعمال كائنات خارقة كيف برزت إلى الوجود حقيقة واقعية...قد تكون كل الحقيقة أوكل الواقع مثل الكون أو العالم...وقد تكون جانبا من الحقيقة مثل جزيرة من الجزر أو فصيلة من النبات أو ضرب من السلوك الانساني أو منظمة اجتماعية والأسطورة بهذا المعنى قصة "وجود ما" فهي تروي كيف نشأ هذا الشيء أو ذاك وهي ترتبط بالواقع في أولوياته وأبطالها كائنات خارقة يعرفون بما حققوا في عصر التكوين »(يونس، 1968.ص: 19) ويكاد يكون هذا التعريف ترجمة بتصرف للتعريف الذي أورده "مرسيا إلياد".

وعلى الرغم من هذه التعريفات متعددة « فإنّ الأسطورة من حيث كونها فكرا وفنا وتاريخا تشكل خطابا يمكن أن يقال عنه إنه أدبي يتناص مع التاريخ والميثولوجيا وما يجعل [ها] خطابا أدبيا قدرتها على توسيع آفاق المخيّلة عن طريق الحلم والتخييل، وما الأدب في نيته العميقة إلا نظام رمزي قادر على الإيحاء والتأويل، ومن ثم كشف اللاإنساني واللاأخلاقي في رؤية المجتمعات البشرية ونظام قيمها وإدانته» (عبدالرحمن يونس،2011.ص:112)،وبهذا فإن الأسطورة قد انتقلت «من قيم الخرافة إلى آفاق العلم وأصبح للأساطير علم يعرف بالميثولوجيا له علماؤه ومؤلفاته ومؤتمراته وأنصاره...إذ تمثل في الأسطورة محاولة إدراك وفهم وتكوين معرفة وعلم» (زهيدي، 1978.ص: 34) وعلى هذا الأساس انتقلمفهوم الأسطورة من اللانظام إلى علم قائم بذاته له قوانينه وقواعده الخاصة.

الأسطورة نص سردي تتوافر فيه خصائص النص السرد القصصي من حبكة وعقدة وشخصيات ... قد تناقلتها الأجيال وحوروا فيها بالزيادة والنقصان وباعتبار الزمان والمكان وقدسوها حتى غلبت على عقولهم

3. أهمية الأسطورة في الأدب:

تحتل الأسطورة مكانة هامة في الأدب فهي حقلا خصبا للمبدعين تقدم لهم «أفكارا جديدة وصورا جديدة تقوم على الخيال الخلاق والمبدع و[تثري] اللغة برموز موحية دالة مما يجعل الأساليب الأدبية أكثر غنى وأغرز معنى وأرحب تعبير»(جيدة، 1980.ص: 105)وتشترك الأسطورة مع الأدب في مجموعة من الخصائص تجعل منها « أدبا بالمعنى التام أو نصا مدونا يوفر لنفسه خصائص الأدبي جميعا، فإذا كانت الأسطورة شكلا من أشكال النشاط الفكري، فهي بهذا المعنى تلتقي بالأدب بوصفه نشاطا فكريا أيضا كما تلتقي معه أن كليهما وظيفة واحدة هي إيجاد توازن بين الانسان ومحيطه، وكما تسهم الأسطورة في تحرير العقل من سطوة الواقع وتحلق به فوق عالم المحسوسات وتمنحه طاقة لترميم حالات التصدع التي ينتجها هذا الواقع، فإن الأدب يعد هو الآخر بحثا في الواقع ، ولكن من دون امتثال لقوانينه الموضوعية أو الانصياع لأعرافه المادية» (صالح،2010.ص: 16-17)

ومن هنا فكل من الأسطورة والأدب يحاول تجميل هذا الواقع المشين وإحلال توازن بين المادي والخيالي في نفسية الانسان عموما والأديب خصوصا ولأن هناك «اعتقاد ثابت لدى الكثيرين بأن الأسطورة قوية الارتباط بالأدب وإن يكن هذا الارتباط غير واضح المعالم تماما بحيث مصير أحدهما متعلق بمصير الآخر» (حمود،1996.ص: 150)

وقد عاشت الأسطورة«منذ القدم جنبا إلى جنب مع الأدب واستحال فصل الشعر والفن والتاريخ عن الأسطورة» (أبو علي،2009.ص: 66)كما تشترك مع الأدب«في ملامح الحبكة والشخصية والموضوع والصورة ومن الناحية النفسية يستمد الأدب من الطقس والأسطورة وهي أساليب الانسان الأصلية للاستجابة للواقع ، ومن ناحية الموضوع فإن الأدب كالأسطورة يشغل نفسه بموضوعات معينة دائمة أصل العالم والبشر... لاومن الناحية التاريخية تعمل الأسطورة كثيرا كمصدر أو مؤثر أو نموذج للأدب ، أما الناحية الثقافية فالأسطورة والأدب لهما وظيفة القصص الأساسية التي تنقل المعرفة والحكمة» (الكومي،2004.ص: 269) ويظهر من كل هذا أنّ الأسطورة والأدب يسهمان في تثقيف الإنسان من كل الجوانب.

4. علاقة الأسطورة بالرواية:

يعد الموروث الحكائي العالمي والعربي بنوعيه الرسمي والشعبي أحد أهم الحوامل التي شيدت الرواية العربية المعاصرة معمارها الجديد عليه، وتمثل الأسطورة بوصفها واحدا من أهم منابع هذا الموروث ومرجعا أساسيا من المرجعيات النصية الرمزية والفنية التي مكنت هذه الرواية من تحقيق تقدم نوعي على مستويين المضموني والجمالي .

ونظرا لما للغة الأسطورية من رموز وإيحات تتولد في غالب الأمر على التشخيص والتجسيد وتراسل مدركات الحواس لأن اللغة العادية عاجزة لتبليغ صورة أو فكرة معينة، ومن هنا يلجأ الروائي إلى اختيار« أسطورة جماهيرية لها وقعها وأثرها عند الخاصة والعامة ..واغلة في القدم» (صالح،2010.ص: 05)وذلك حتى يعطي لعمله الإبداعي بعدا رمزيا وحتى يتلقاه مجموعة واسعة من القراء، نظرا لما يوجد في الأسطورة «من طابع التخييل والابتعاد عن الواقعية فهي تستطيع أن تستهوي الأدباء وأن تجذبهم إلى ميدانها » (الديدي، 199.ص: 66) وهنا يكون هدفها الهروب من الواقع الضيق إلى أفق الخيال الواسع الرحب. لهذا نجد الأديب البارع والموفق هو الذي«يستخرج من الأساطير التي يستغلها أبعاد واقعية معاصرة ويعكسها على واقعه الذي الحي الذي يعيش فيه ويبقي في نفس الوقت على الدلالات الأسطورية القديمة بحيث يتحقق نوع من المزج الفني بين تلك الأبعاد الواقعية وتلك الدلالات الأسطوري» (توفيق، 1979.ص: 324).

وفي بعض الأحيان يلجأ الأديب والشاعر إلى الاتكاء على الأسطورة ليهرب من الرقيب والمضايقة وهذا باعتراف أحد الأدباء الذي قال «من خلال الأسطورة والشخصيات التاريخية القديمة والمعاصرة عبرت عن سنوات الرعب والنفي والانتظار التي عاشتها الإنسانية عامة والأمة العربية خاصة» (سليمان، 1987.ص:33) ، ومن هنا تنتقل الأسطورة لتعبر عن الواقع العربي المرير بكل تناقضاته كما أنها ثورة مضادة عليه، والملاحظ أنّ توظيف الأسطورة من طرف الأدباء قد اتسع بشكل لافت للنظر بعد هزيمة حزيران حيث«أفادوا منها وجعلوها تؤدي أغراضا دلالية وفنية متعددة ورأوا فيها رمزا لثورة عارمة تعيد الحياة الكريمة للشعوب المضطهدة بسبب النكبة» (كاملي،2004: ص77) فاشتملت معانيها على الثورة والكفاح والتضحية والبعث والخصب والنماء.

إن استلهام الأسطورة في النصوص الروائية «لم يتم بمعزل عن الحركة الثقافية العربية والواقع، بل هو استلهام يمكننا القول أنه يتعاطى رسم الواقع ولكن بخطاب أسطوري يميل مباشرة إلى الواقع ويفصح عن معايبه ومثاليه ويمجد ثوراته وانعتاقه من أغلاله» (شعلان،دت.ص: 17)وخاصة عندما اشتدت الرقابة على المبدعين بعد الاعتراف بالكيان الصهيوني فلجأ اليها الكتاب«ليعبروا عن أفكارهم وآرائهم بدون أن يتعرضوا لملاحقة السلطة السياسية أو الدينية لهم فشخصيات الأسطورة ستار يختفي وراءه الكاتب ليقول كل ما يريده وهو في مأن من السجن والنفي» (أسعد، 1958.ص: 115).

وفي كثير من الأحيان تكون أسماء بعض الأساطير كافية وشافية عن كل شرح قد يطنب فيه دون جدوى، وفي أحيان أخرى يشير توظيف الأسطورة من طرف هؤلاء الكتاب«إلى فطنة وذكاء هؤلاء الكتاب فهم لا يستخدمون أسماء أو حوادث لا عهد للناس بها، بل يستخدمون أسماء وحوادث تكثفت حولها عواطف البشر على مر السنين وارتبطت في قلب كل انسان بأوشاح من حياته وتجاربه وأصبح مجرد ذكر اسمها يستدعي في نفسه عواطف وانفعالات شتى فاستغلال المؤلف لأسماء أبطال الأساطير يغنيه عن استخدام آلاف النعوت والصفات لتحديد سمات أشخاصه وبعث الأثر المطلوب في النفوس وهو بهذا يطلق خامات نفسية كبرى للتعبير عن تجربة الإنسان المعاصر» (حمدي، 1968.ص: 08-09) بحيث « يضع القارئ في منطقة نصفها معلوم ونصفها مجهول ، نصفها حسي ونصفها فكري، نصفها مضاء ونصفها مظلم، فيدفعه الى البحث والمخاطرة واتخاذ موقف ايجابي مما يقرأ» (حشلاف، 1986.ص: 206)وفي هذه الحالة تكون القراءة الواعية للأعمال بمثابة «البرق الذي يتيح للوعي أن يستشف عالما لا حدود له لذلك هوإضاءة للوجود المعتم واندفاع صوب الجور»(أدونيس،2005.ص: 269)وفي هذه الحالة لا ينبغي للأديب «تسمية الشيء في وضوح لأن التسمية قضاء على معظم ما فيه من متعة، ثم لأن الألفاظ اللغوية قاصرة للتعبير عمّ في الشيء من دقائق» (زايد، 1997.ص: 284) ، وهنا تصبح الأسطورة وسيلة تعبيرية ماتعة بطريقة رمزية.

5.توظيف الأسطورة في الرواية الجزائرية:

وظف الروائي الجزائري مجموعة من الأساطير إما بطريقة كلية أو جزئية، وبثت فيها روحا وحمّلها دلالات جديدة عبّر من خلالها عن هموم المجتمع الجزائري وآلامه المختلفة في لحظة عجزت الكلمات الصريحة عن تبليغ القصد، كما أن هذه الأساطير أعطت لهذه النصوص الروائية لمسة فنية جمالية ربطت الحاضر بالماضي واستشراف المستقبل، كما أن الروائي من خلال استحضاره لهذه الأساطير عالجها علاجا جديد يلائم الذاكرة الجزائرية. ومن الأساطير التي وظفت عند بعض الرروائيات نجد:

1-5 أسطورة ألف ليلة وليلة: شبهت "هدى درويش" حكاية البطلة آمال الفلسطينية بأسطورة ألف ليلة وليلة ؛ حيث تقول: «أصبحت حكاية هذه الحسناء شبيهة بخرافات ألف ليلة وليلة ... أصبحت تسمو إلى عالم

المثالية والحب المقدس»(درويش،2010.ص: 39)، فالروائية شبهت العلاقة العاطفية التي كانت تربط بين البطلة "آمال" وحبيبها بما كان يحدث لشهرزاد وحبيبها شهريار في قصة الليالي.

كذلك نجد ملمحا آخر من توظيف قصة ألف ليلة وليلة في رواية "جسر للبوح وآخر للحنين" للروائية **"زهور ونيسي"** وذلك حين يخاطب البطل "كمال العطار" مدينة قسنطينة قائلا«... أنت حلم الليلة الأولى والليلة ما بعد الألف، وشهرزاد هي القلب الشغوف بالحكي والسرد، وهي أيضا زمن الانتظار وليس شهريار» (ونيسي،2007.ص: 36-37).

فعشق البطل"كمال" لمدينة قسنطينة وجسورها ومعالمها الأثرية يشبه تلك الأحلام الجميلة التي كان يشعر بها العاشقين شهريار وشهرزاد في ألف ليلة وليلة، وإذا كانت شهرزاد لم توقف حكيها لحبيبها حتى يطلع النهار لتطيل في عمرها وتنجو من القتل، فإن حقيقة حب كمال لمدينته فاق آلاف الليالي فالزمن غير كاف ليعبر عن هذا الحب الذي أشعلته نيران الغربة.

ونجد مقطعا آخر في نفس الرواية يستحضر قصة أبطال ألف ليلة وليلة حيث يقول الراوي«ألم تغير شهرزاد حياة الملك شهريار ؟ وتخرج نفسيته المظلمة المريضة من أغوار الحقد والانتقام إلى نور المحبة والتسامح والأمل كل فجر إلى فجر جديد؟ حديثها كان أنجع أنواع العلاج وحوارها كان بلسما لروح غمر شفافيتها الشر وحب الانتقام وانتصار الأنا البغيضة» (ونيسي، 2007.ص: 171) فهنا يظهر ذلك التقارب بين شخصية شهريار التي تحولت للنقيض وشخصية البطل كمال الذي طهرته الثورة من حب اليهودية وذلك باكتشافه لحقيقة اليهود ووقوفهم مع فرنسا ضد الثورة الجزائرية العادلة، فكما تحول كره شهريار لشهرزاد وتحول إلى حب ، فإن حب كمال تحول إلى كره لليهودية بعد أن حكم عقله على قلبه.

أشارت **أحلام مستغانمي** إلى أسطورة شهرزاد المعروفة في قصة ألف ليلة وليلة والمشهورة بالحكي حتى الصباح عندما كانت تتحدث عن العطر الذي يربط المرأة بالرجل ،فقد حرضت النساء على أن ترتبط برجل لا عطر له ولا ذاكرة يتوقف كما يتوقف بوحه شهرزاد عند الصباح (مستغانمي، 2009.ص: 203)، فالكاتبة ربطت بين العطر الذي تذهب رائحته ولا يبقى كما كانت تتوقف شهرزاد عن الحكي المباح عندما يطلع الصباح، وعبارة أخرى أرادت أن تقول للنساء تحكموا في عواطفن ولا تنجرفن نحوها كما كانت تتحكم شهرزاد في سفاحها، وعلى المرأة تحب بعقلها لا بقلبها لأن الرجال لا عهد ولا أمان لهم في الحب .

وجاءت كذلك أسطورة شهرزاد في رواية "عائد إلى قبري" للروائية "زكية علال" والتي رواها البطل "يوسف" وهو يواسي صديقه الصحفي الفلسطيني "عمر" عندما حدثه عن معاناة أسرته جراء الاحتلال الاسرائيلي« إن الخيبة التي تحسها في نفسك لا تقل عن الخيبة التي تتمدد على أرصفة مدينة تشبه شهرزاد...امرأة تغزل كل ليلة حكاية تمنحها الحياة وتستيقظ صباحا على فاجعة موتها المؤجل وتتمنى لو سبق أجلها الصبح حتى لا تعيش فجيعة انتظار حتف يتأخر ...شهرزاد التي سلمت نفسها للموت لتنقذ ما تبقى من جمال مدينة تغرق في وسوسة ملك قتلته الخيانة فنفض عنه غبار قبره ونهض عاريا إلا من رغبة في الانتقام....هناك لا أثر لفاتنة تؤجل موتها بحكايا السندباد الذي يخرج من مغامرة بمغامرة لتكبح رغبة الانتقام عند ملك وجد غريبا في غرفة زوجته الجميلة فقرر أن يمحوا كل أثر للنساء الجميلات في مملكته وأن يكون شاهدا على هذا الاغتيال وأن يكون-أيضا-آخر من يزف له هذا الجمال ليعبث به ثم يرميه إلى الجلاّد » (علال،

2015.ص: 211-212) ، فالروائية من خلال هذه الأسطورة أرادت أن تقول كما ضحت شهرزاد لتنقذ بنات جلدها من الملك القاتل شهريار، فكذلك تفعل النساء الفلسطينيات فهن يستيقظن يوميا على أخبار وفاة أبنائهم الذين يدفعونهم للشهادة من أجل يتحرر الوطن، وتبقى القائمة مرشحة للارتفاع .

ونجد أيضا أسطورة شهرزاد في رواية أخرى موظفة بطريقة عكسية يقول الراوي «وشهرزاد كفت عن دورها الكلاسيكي في الإمتاع والمؤانسة، شهرزاد لم يعد ينفعها أن تهدهد شهريار كل ليلة بأساطير العشق والمجون... شهرزاد نزلت بإيجابية إلى معترق الحياة .شهرزاد لم تعد تنتظر أن يمسك شهريار بدفة السفينة وقد أخفق في الرسو في مرفأ أمان، فقررت ان تأخذ بمقاليدها وتبحث بنفسها عن الوجهة الصحيحة علها تصل إلى بر السلام... شهريار فشل في مدن الملح ... شهريار هام في مدن الملح» (جموعي، 2007.ص: 249)،فشهرزاد هنا جعلت منها الكاتبة هي البطل وليس الضحية هي القائد والمتحكم في مصيرها وليس شهريار، وهي إشارة مضمرة إلى العدو الفرنسي، وأن الشعب اتخذ موقفا وهو تفجير الثورة لاسترجاع حريته وكرامته المهضومة ولا ينتظر من فرنسا أن تفي بوعودها وتعطيه الاستقلال، فكذلك شهرزاد في الرواية قلبت الأدوار من ضحية تنتظر العفو والصفح من جلادها إلى بطلة قوية تثأر لنفسها وتنتزع مطالبها، وقد مثلت شهرزاد بجدتها زهرة التي كفت عن الحكايا والكلام المباح، مع فارق أن حكايات الجدة زهرة لم تكن عن العشق والغرام الخيالية، بل هي حكايات حقيقية عن الثورة التحريرية وعن الجهاد والدور الذي لعبته المرأة إلى جنب الرجل وسطرت أنبل البطولات شهد بها حتى العدو، والملاحظ أن الكاتبات عندما استحضرنا أسطورة شهرزاد قد حاولن من خلالها أن يقتحمن «موضوعات أشد تشابكا مع قضايا الواقع المتجددة، وكذلك يمكن تناول هذه القضية من منظور آخر هو الحضور المستمر المتجدد للتراث العربي في وجدان الأمة وذاكرتها » (عبدالله، 2000.ص: 14) . إنها شهرزاد التي شغلت الأدباء والكتاب وألفوا عنها وتحدثوا بإسهاب مما جعل أحدهم يقول عن عالمها الأسطوري « فلقد انتزعني خيالي وطار بي وألقاني في أساطير الماضي بين يدي شهرزاد وأنا أعرف شهرزاد كل المعرفة ...وقد أبرزتها في كتاب آه... يا لها من امرأة ... لقد دخلت حياة ذلك الملك الطاغية كما تدخل الروح الطيبة جسدا أصم أو الريح المخصبة واحة مقفرة واهتدى شهريار بهديها وتمت بذلك معجزتها فانزوت في بطون الأساطير»(الحكيم،1945.ص: 26).فأسطورة شهرزاد شغلت حيزا كبيرا في مخيلة الأدباء والشعراء وعبرت بكل صدق عن ذكاء المرأة وخبرتها في الحكي .الذي انتقل من ثرثرة إلى إبداع. ويلجأ الكاتب إلى توظيف أسطورة شهرزاد كقناع وذلك حتى « يستطيع أن يقول كل شيء دون أن يعتمد شخصه أو صوته الذاتي بشكل مباشر لأنه سيلجأ غلى شخصية أخرى يتقمصها أو يتحدى بها أو يخلقها خلقا جديدا وسيحملها آراءه» (خوراني، 2007.ص: 356) ، فالكاتبة استطاعت أن تختفي وراء شهرزاد لتعبر عن موقفها من الواقع ومملكة الرجال المتسلطة، والسير في خندق الثقافة الفحولية بكل أشكالها والتمرد عليها. إضافة إلى أنّ أسطورة شهرزاد تعبر عن الصراع بين الذكر والأنثى أو ما يعرف بصراع الهامش والمركز الذي تؤول فيه الغلبة في بعض الأحيان لهذا الهامش المنبوذ والذي صورته حكايات ألف ليلة وليلة كما في حكاية "الماردة الصبية" عندما قالت لشهريار وأخوه "شاه الزمان"« إن هذا العفريت قد اختطفني ليلة عرسي، ثم إنه وضعني في علبة وجعل العلبة داخل الصندوق، ورمى على الصندوق سبعة أقفال وجعلني في قاع البحر العجاج المتلاطم الأمواج، ولم يعلم أن المرأة إن أرادت أمرا لم يغلبها شيء» (الليالي، 2007.ص:07) ، ومن هنا يظهر ذكاء المرأة وحنكتها في مواجهة الموت المحتم من جهة «وتدافع عن قيمتها الأخلاقية والمعنوية من جهة أخرى كانت تتكلم والرجل ينصت، فإذا سكتت تعلق شهريار بصمتها يوما كاملا إلى أن تتكلم مرى أخرى لتمارس عليه سلطة اللغة وسلطة النص» (الغدامي، 2000.ص:57) فانتصرت على جبروته وجعلته لعبة في

يدها. ومع أن شهرزاد لم تقل كل شيء لشهريار، ولكن الرواة والقراء قالوا ما لم تقله مما جعل نصوص ألف ليلة وليلة منفتحة ومتعددة القراءات حتى صارت أسطورة شهرزاد التي انتصرت في الليلة الواحدة بعد الألف قد هزمت الملك شهريار وأنجبت منه بحيلها وذكائها بعد أن روضته وأدركت عوالمه . وهناك دافع آخر لتوظيف شهرزاد في الرواية لجعل القارئ وإعطائه فكرة أنها مازالت حاضرة في عصرنا وحكاياها مستمرة، فكل امرأة تكمل بقصصها ومغامراتها وذكائها مالم تقله شهرزاد الأصلية وأن الظلم مازال موجودا في عصرنا وأن شهريار لم يتب عن جرائم القتل، وأن المرأة مازالت متمسكة بدورها في إشباع نزوات الرجل وتسليته، فصورة شهريار هي صورة كل رجل لا هم له غير الانتقام وصورة شهرزاد المرأة هي صورة كل امرأة تتفن في إسعاد الرجل وتسليته عبر الزمان عن طريق اللغة، وهنا تظهر حنكة الروائيات في توظيف بعض القصص من ألف ليلة وليلة في «ذلك المزيج الدقيق بين الواقع والخيال، بين الطبيعي والعقلاني والخارق والغريب» (الموسوي،1981.ص: 03) من أجل إضفاء شيء من السحرية والغرابة على رواياتهن.

الملاحظ أنّ الروائيات عندما يستحضرن شهرزاد يحاولن منها خلق صورة المرأة في عصرهن، والتي رغم التقدم والتحرر مازالت تبحث عن الحرية والكرامة التي سلبها إياها أشباه الرجال مرة باسم الدين، ومرة باسم العرف ومرة باسم سلطة الجاه والمال، فشهرزاد الأسطورة التي تحدت الموت بالكلمة، تحدت جبروت السلطان ومكائده بالحكمة والحيلة.

"شهريار" هذه الشخصية المحورية الانتقامية في قصة ألف ليلة وليلة والتي يقترن حضورها الدائم مع شهرزاد، فهي تقابل كل رجل ضرب في الصميم بالخيانة فقرر الانتقام«كان يعاني من عجز عاطفي يحول دون تسليم قلبه حقا لامرأة ربما لم يشف من خيانة المرأة الأولى في حياته تلك التي تخلت عنه لتتزوج غيره طوال عمره سيشك في صدق النساء وسيتخلى عنهن خشية أن يتخلين عنه كشهريار، سيقاصصهن عن جريمة لا علم لهن بها» (مستغانمي، 2012-2013.ص: 145) ، نلاحظ أن الروائية حاولت إدانة شهرياء لأنه لم يشف من خيانة المرأة الأولى فهو يرى جميع النساء خائنات لهذا يسعى إلى قتلهن قبل أن يرى خيانتهن أمامه حتى وإن كانت هذه الخيانة مجرد أوهام منه.

5. خاتمة:

مما سبق نخلص إلى النتائج التالية.

- من الصعب أن نصل إلى تعريف محدد للأسطورة فقد تعدد مفاهيمها بتعدد المناهج والرؤى التي انطلق منها كل باحث.
- تعد أسطورة شهرزاد بحر ا للأقلام المبدعة فقد وهبت أعمال الأباء أبعادا سحرية ، وأكسبتها فرادة في التشويق لأسر المتلقي الذي تتعدد قراءاته بتعدد رؤاه الفكرية.
- استندت الروائيات في نصوصهن إلى أسطورة شهرزاد وربطتها بين الواقع العربي والجزائري الصعب الذي تعيشه المرأة وبين المخيال الأدبي الرحب.
- وجدنا في هذه الروايات بعدا حواريا عبَّر عن رؤية شهرزاد الأنثوية التي ترى أن سلطتها على الرجل شهريار مقترنة بتفوقها عليه في الحكي.
- تمثل أسطورة شهرزاد في الليالي آلهة الحكمة والمعرفة التي تتميز بها حواء، وقد أسهمت عدة عوامل في تغيير ملامحها فلم تعد أبعادها حكرا على المجالات الأدبية؛ بل انتقلت إلى المجالات الإجتماعية والسياسية، فكل واحد يحورها ويطورها وفقا لرؤيته الخاصة.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

- ابن منظور الإفريقي. (دت). لسان العرب.بيروت. لبنان.دار صادر.مج4.
- أبو علي، رجاء.(2009). الأسطورة في شعر أدونيس. دمشق. سوريا. دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.ط1.
- أدونيس، أحمد.(2005). زمن الشعر.بيروت. دار الساقي. ط6.
- أسعد، سامية.(1985). الأسطورة في الأدب الفرنسي المعاصر. مجلة عالم الفكر. مجلد16.عدد3. الكويت.
- إليادمرسيا. (1995) ملامح من الأسطورة، تر حسيب كاسوحة.دمشق. منشورات وزرارة الثقافة. دط.
- بلحاج كاملي. (2004): أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة، القاهرة. منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق.
- توفيق، حسن.(1979). شعر بدر شاكر السياب. دراسة فنية وفكرية. بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط1.
- جبور، عبد النور.(1979). المعجم الأدبي. بيروت. دار العلم للملايين. ط1.
- جموعيوهيبة (2007) قضية عمري. جيجل، الجزائر .دار كتاب الغد للنشر والطباعة والتوزيع، ، دط.
- جيدة، عبد الحميد. (1998). الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر.بيروت. مؤسسة نوفل. ط1.
- حشلاف، عثمان.(1986). التراث والتجديد في شعر السياب. دراسة تحليلية جمالية. الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية.
- الحكيم، توفيق.(1945). حماري قال لي.القاهرة. مصر. دار مصر للطباعة. ط1.
- حمديمحمد عصمت.(1968). الكاتب العربي والأسطورة. الكتاب الأول. القاهرة. دار الشعب.
- حمود محمد (1996): الحداثة في الشعر العربي المعاصر.بيروت. الشركة العالمية للكتاب، ط1.
- خوراني سمير.(2007). المرأة والناقدة. دراسة في شعر سعدي يوسف.بيروت. لبنان. دار الفارابي.
- خورشيد، فاروق(2004). أدب الأسطورة عند العرب. القاهرة. مكتبة الثقافة الدينية. ط1.
- درويش هدى.(2010) آمال حب يبحث عن وطن، متبوع بخلود الياسمين،بجاية، الجزائر. دار تلانتيقيت للنشر والتوزيع، دط.
- الديدي، عبد الفتاح .(1990). الخيال الحركي في الادب النقدي. مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- رفعت، سعد.(2011) الموسوعة العالمية للأساطير الشعبية.المنصورة.مصر. دار اليقين للنشر والتوزيع. 2011.
- زايد، علي، عشري.(1997). استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر.القاهرة. دار الفكر العربي.
- زكي، أحمد كمال.(دت). الأساطير. دراسة حضارية مقارنة. بيروت.لبنان. دار العودة.
- زكية علال: عائد إلى قبري، دار الأوطان، ط1، الجزائر، 2015.
- الزمخشري، أبو القاسم.(1998). أساس البلاغة. تح محمد باسل عيون السودان.بيروت.لبنان. دار الكتب العلمية، ج1.
- زهيدي، بشير.(1978). مقدمة في الميثولوجيا. مجلة المعرفة.عدد197. دمشق. وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- سليمان، خالد. (1987). أنماط من الغموض في الشعر الحر. جامعة اليرموك.الأردن. منشورات جامعة اليرموك.
- شعلان، سناء.(دت). الأسطورة في روايات نجيب محفوظ.قطر. نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي..
- صالح نضال. (2010) النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة.قسنطينة الجزائر .دار الألمعية للنشر والتوزيع ، ط1.
- الصباغمرسي.(2002) القصص الشعبي العربي في كتب التراث.الاسكندرية. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.ط1.

- عبد اللهمحمد حسن.(2000). أساطير عابرة للحضارات، الأسطورة والتشكيل. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع. دط.
- عجينة محمد.(1994). موسوعة الأساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها.بيروت، لبنان. دار الفارابي. ط1.
- الغدامي، عبد الله.(2000).المرأة واللغة. ثقافة الوهم مقاربات حول المرأة الجسد اللغة.الدار البيضاء. بيروت. المركز الثقافي العربي. ط2.
- الفراهيدي، الخليل، بن أحمد.(2002). العين.تح. عبد الحميد هنداوي. بيروت. لبنان. دار الكتب العلمية.ط1.ج1.
- قريشليلى روزلين (1980): القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي. الجزائر. ديوان الوطني للمطبوعات الجامعية.
- الكوميمحمد شبل.(2004). المذاهب النقدية الحديثة. مدخل فلسفي. تقديم محمد عناني. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. دط.
- الليالي، ألف ليلة (2007): منشورات محمد بيضون.بيروت.لبنان.دار الكتب العلمية. ط3.
- مبروك أمل.(د.ت). فلسلفة الدين.القاهرة. الدار المصرية السعودية الطباعة والنشر والتوزيع . ط1.
- مستغانمي،أحلام.(2009). نسيان COM. بيروت. لبنان. دار الآداب للنشر والتوزيع. ط1.
- مستغانمي، أحلام.(2012-2013). الأسود يليق بك. بيروت. لبنان. دار نوفل. ط6.
- المعجم العربي الأساسي. (1989). المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تقديم محي الدين صابر. تونس. توزيع لاروس.دط.
- الموسويمحسن جاسم (1981): ألف ليلة وليلة في الغرب. الموسوعة الصغيرة. العدد92، بغداد. منشورات دار الجاحظ للنشر. دط.
- ونيسي، زهور.(2007).جسر للبوح وآخر للحنين. الجزائر. الطباعة العصرية.
- وهبة. مجدي ، المهندس كامل. (1978): معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. مكتبة لبنان، بيروت، ط1.
- يونس،محمد عبد الرحمن. (2011) مقاربات في مفهوم الأسطورة شعرا وفكرا.بيروت .مؤسسة الانتشار العربي. ط1.
- يونس، عبد الحميد .(1927). الفولكلور والميثولوجيا. عالم الفكر، مجلد3، الكويت. وزارة الاعلام1972.
- يونس، عبد الحميد .(1973). دفاعا عن الفلكلور.القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- يونس، عبد الحميد.(1968). الحكاية الشعبية. القاهرة. دار الكتاب العربي. ط1.
- يونس، عبد الحميد.(1980). الأسطورة والفن الشعبي.القاهرة. المركز الثقافي الجامعي. ط1.
- Brunel Pierre(1968). mythocoritiques .Paris. théories et parcours .puf .
- Elide Marcia’ (1964)Aspects du mythed, Paris. Gallimard.